تقديم

سعدت أن أرى كتابا يُعَد ليخرج إلى السوق باللغة العربية يعالج قضايا البيئة في إطار التحولات الضخمة التى طرأت على العالم خلال العقد الأخير من القرن الماضى والألفية الماضية.

لا شك أن الكتابات عن البيئة والمعالجات الإعلامية الأخرى مرئية ومسموعة قد تنامت بشكل واضح خلال العقد الماضى وبصفة خاصة خلال السنوات الخمس الماضية.

ونحن هنا فى مصر لا نستطيع أن نعيش على هامش الحياة أو هامش الدنيا. نحن دولة تقع فى قلب العالم. ليس هذا فقط ولكن نحن أمة لا يمكن أن تعيش بعيدا عن أحداث العالم بل تعودت أن تشارك فيها وأن تكون أحيانا فى المقدمة.

قضايا البيئة اليوم تشابكت مع القضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية والعلمية والتكنولوجية - مع كل ما يمكن أن يؤثر فى حياة الإنسان. انتشر مفهوم التنمية المستدامة دون وجود ذلك القدر المتيقن مما نريد تحقيقه من أهداف عن طريقه. ثم جاءت العولمة ناشرة ظلالا كثيفة من عدم الوضوح - أين المصلحة؟ وأين الخطر؟

وانفتحت السماء وانفتحت معها آفاق الإعلان المغرى عن الضرورى والتافه، وسرت حمى أو هوس الاستهلاك غير الرشيد.

قيل إن التجارة تحررت، وخشى الكثيرون أن تكون قد تحررت فى اتجاه واحد: من الغنى إلى الفقير أو من المتقدم إلى النامى. تكتلت الدول فى تجمعات اقتصادية قوية كالاتحاد الأوروبى والنافتا (الولايات المتحدة وكندا والمكسيك)، وتضخمت الشركات عابرة القارات وغيرت نظم عملها من فروع تنتج منتجا كاملا إلى تجمعات تنتج أجزاء من المنتج.

كل هذا حدث ويحدث بطريقة متسارعة لا تكاد أنفاس الدول النامية – ونحن منها – تلاحقها. كل هذه الأحداث أثرت تأثيرات مباشرة على منظومة البيئة الطبيعية منها والمبنية وكان علينا أن نعيد ترتيب أوراقنا وأن نراجع خطواتنا لنرى إلى أين نخطو وفى أى اتجاه نسير فى مواجهة مشاكلنا البيئية التى تشابكت مع العديد من المشكلات الأخرى.

فى هذه المرحلة الهامة أخذ الدكتور إبراهيم عبد الجليل على عاتقه أن يستعرض فى دقة علمية دون تعقيد – وفى أمانة فنية دون مبالغة – وفى صدق واضح مع النفس – بعض ما يجرى فى هذا المجال.

الموضوعات التى يعالجها الدكتور إبراهيم عبد الجليل معقدة وشائكة وهو يعلم ذلك حق العلم.

وهو ينهى «مقدمة» كتابه - خواطر حول البيئة والتنمية - بهذه الكلمات.. «فإن كنت أخطأت فلى أجر المحاولة، وإن كنت أصبت فلى أجران».

وفى يقينى أنه أصاب كل الصواب عندما فتح الباب إلى هذا الخضم الهائل من الموضوعات التى يلزم أن تناقش فى هدوء وعلم وموضوعية لنرى بوضوح مواضع أقدامنا.

أسعدنى أن أكتب هذا التقديم وأنا على ثقة أن هذا الكتاب سيكون بداية لحوار بناء بإذن الله.

دكتور مصطفى كمال طلبة

مقدمة

هذه مجموعة من الخواطر حول العديد من القضايا المتعلقة بالبيئة والتنمية. فمنذ مؤتمر قمة الأرض الأول فى عام ١٩٩٢ بالعاصمة البرازيلية «ريو» برز إلى سطح أبجديات التنمية مفهوم «الاستدامة» الذى دار حوله جدل شديد ولا زال، ورغم تعدد التعريفات إلا أن الجميع قد اتفق فى النهاية على ضرورة الحفاظ على حق الأجيال القادمة فى نصيب عادل من الموارد الطبيعية.

ومع بداية ألفية جديدة، ومع قرب مرور عشر سنوات على قمة «ريو» بدأ العالم يستعد للذهاب إلى مدينة «جوهانسبرج» فى أقصى جنوب القارة الإفريقية لمراجعة ما تم وما لم يتم فى تنفيذ ما اتفق عليه فى «ريو» . إلا أن النظرة المتأنية تشير إلى أن العديد من مشكلات البيئة وقضاياها لم يتم حلها بشكل مرض، وأن على شعوب العالم أن تجد حلا لمعظم تلك المشكلات خلال الألفية الجديدة.

إلا أن العديد من المتغيرات التى شهدها العالم خلال السنوات الأخيرة من الألفية الثانية، والتى جاءت عقب سقوط حائط برلين وانتهاء الحرب الباردة، وبروز مفهوم جديد ذاع وانتشر وإن لم تتضح معالمه بعد، ألا وهو مفهوم «العولمة» وسقوط الحواجز التاريخية

والجغرافية، واتجاه العالم نحو القرية الإلكترونية الواحدة التى تسيطر على مقدراتها ثورة الاتصالات والمعلومات.

كل هذه المتغيرات سوف يكون لها آثار بعيدة المدى على مستقبل التنمية فى العالم، كما سوف يكون لها أيضا تأثيرات عميقة على أساليب الإدارة البيئية وتكنولوجياتها.

ولقد تناولت فى تلك الخواطر بعضا من تلك المتغيرات وحاولت مناقشة آثارها المستقبلية على أوضاعنا البيئية، كما حاولت الربط دائما بين تلك المتغيرات وما يجب علينا أن نفعله لكى نتواكب مع ما يدور فى العالم حتى لا يفوتنا القطار. وأخيرا فإنها - أولا وأخيرا - خواطر شخصية سجلتها فى مناسبات عديدة، ونشرت معظمها فى بعض الصحف اليومية، ورأيت أن يضمها هذا الكتاب لعل ذلك يكون إسهاما متواضعا للمكتبة العربية فى مجالات التنمية والبيئة.

أرجو أن يكون هذا الكتاب أيضا نافذة للقارئ العادى على مجموعة كبيرة من القضايا التى تشغل حاليا بال العلماء والمفكرين فى شتى أنحاء العالم.

والله أسأل أن أكون قد وفقت فى هذا، فإن أخطأت فلى أجر المحاولة، وإن أصبت فلى أجران. **وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.**

المؤلف